CEDEJ

سيمينار الإثنين بالسيداج

التلاوة المصرية: إنصات إلى الزمن القديم

من تقديم هيثم أبو زيد

مناقشة

فريدريك لاجرانج

١٦ مارس ٢٠٢٦ - الواحدة ظهراً

٢٣ ش جمال الدين ابو الحاسن - جاردن سيتي

يقدم كتاب "التلاوة المصرية.. قصة التوهج ومسارات الانطفاء" رؤية تحليلية لأسباب تفوق فن التلاوة في مصر، وشهرة مدرسة التلاوة المصرية في أرجاء العالم الإسلامي، ويبين أهم الخصائص التي ميزت تلاوة المصريين في عصر الإذاعة، وفي مقدمتها دقة أحكام التجويد، واستعراض القراءات، وامتلاك مجموعة من أهم وأجمل الأصوات، وتوظيف مقامات النغم الشرقية، وحرص الشيوخ على الأداء الإبداعي، والارتجال داخل قوالب شبه ثابتة.

ويتوقف الكتاب مع أبرز الأسماء من أعلام القراء، الذين صاغوا معالم هذه المدرسة، واشتركوا في بناء سمعتها في آسيا وإفريقيا، وبين الجاليات المسلمة في أوروبا والأميركتين، مستعرضا أسلوب كل قارئ من هؤلاء الأعلام، وأهم الجماليات التي ميزت كل قارئ، من أمثال الشيوخ محمد رفعت، وعبد الفتاح الشعشاعي، وطه الفشني، وعبد الباسط عبد الصمد، ومحمد صديق المنشاوي.

وخصص المؤلف فصلا كاملا للشيخ مصطفى إسماعيل، معتبرا أنه يمثل الذروة العالية في تطور أداء القراء المصريين، وأنه يقدم مساحة واسعة من أشكال الإبداع القرائي، موضحا طبيعة صوته، وقدراته الفنية، وسعة خياله، وتمكنه من تنفيذ أفكاره النغمية، وأهم السمات التي ميزت تلاوته، وأثره العميق في القراء المصريين، وفي فن التلاوة عموما.

كما يقدم الكتاب فصلا غير مسبوق، لتحليل ختمات المصاحف المرتلة، التي تبثها الإذاعة منذ عقود، بأصوات القراء الخمسة: محمود خليل الحصري، ومصطفى إسماعيل، وعبد الباسط عبد الصمد، ومحمد صديق المنشاوي، ومحمود علي البنا. يتوقف المؤلف مع منهج كل قارئ، والقواعد الإقرائية والنغمية التي التزمها أثناء تسجيله.

لكن الزمان تغير. فمنذ سنوات، يمر فن التلاوة في مصر بفترة تراجع، تفاقمت مع ضعف الأصوات الجديدة وانقطاع كثير من القراء الجدد عن أنماط الأداء الكلاسيكي الموروث عن أعلام هذا الميدان، وعرفت ساحة التلاوة ظواهر مؤسفة. وفي النصف الأخير من الكتاب يبحث المؤلف أسباب تراجع هذا الفن، والتدهور الكبير الذي أصابه خلال السنوات الماضية، وكيف بدأ هذا التدهور على مستوى الصوت والأداء، وصولا إلى الأزمة العميقة والمركبة التي يعيشها "الوسط الإقرائي"، ومقترحات مواجهة هذه الأزمة. فالكتاب عشرة فصول، نصفها الأول يحكي سيرة الازدهار، ونصفها الأخير يروي قصة الانحدار.

يرصد المؤلف إرهاصات التراجع، بدءا من منتصف الستينات، بظهور الأصوات ذات الطابع الريفي، وتمكن بعضها من الوصول إلى أثير الإذاعة. وأيضا الانحراف بأداء القفلات عن الطرائق المحكمة القوية الموروثة عن كبار الشيوخ. ثم الاتساع التدريجي للتراجع، وصولا إلى المشهد المعاصر، حيث يسيطر "سماسرة" على عالم السرادقات والمآتم، وهي الميدان الأول لأداء التلاوة القرآنية العلنية في مصر.

ويقدم المؤلف بعض المقترحات التي يرى أنها تساعد على الارتقاء بالتلاوة المصرية، أو على الأقل توقف مسيرة انحدارها، مثل الاختبار الجاد لقراء الإذاعة، وإصدار تشريع ينظم المهنة، وتفعيل الرقابة الجماهيرية على أداء القارئ الإذاعي.

لا يعرض الكتاب إلى الجذور القديمة لفن التلاوة في مصر، والتي قد يرجعها بعض الباحثين إلى أكثر من ألف عام مضت، وإنما يشتبك تحديدا مع ما يمكن أن نسميه عصر الإذاعة، أي أنه يرصد تاريخ هذا الفن بدءا من منتصف ثلاثينات القرن الماضي. كما أنه لا يتوقف بالضرورة عند جميع قراء حقبة الازدهار، مكتفيا بالنظر التأملي في أداء أكثرهم تأثيرا.

نبذة ذاتية:

هيثم أبوزيد

كاتب وباحث مهتم بفنون التلاوة والإنشاد، والتراث الموسيقي والغنائي المصري، مواليد 1973 بمحافظة الدقهلية، وحاصل على إجازة التجويد ثم عالية القراءات من الأزهر الشريف عام 1998.

عمل بالديسك المركزي لعدد من الصحف المصرية، مثل الشروق والبديل، كما عمل بالتصحيح اللغوي، لعدد من المواقع الصحفية والمراكز البحثية. يكتب في الشأن الموسيقي والغنائي بعدد من الصحف المصرية والعربية، وله كثير من الدراسات المنشورة عن طرب عصر النهضة، وأعلام الغناء والتلحين في القرن الماضي، وأيضا له عشرات المقالات عن السيدة أم كلثوم، وجماليات غنائها، وتوثيق تراثها، وتأثيرها الممتد في بلاد العرب.

ويهتم اهتماما عميقا بالقراء والمنشدين المصريين، وأساليبهم النغمية، وعلاقتهم بالإذاعة، وطرائق تأسيسهم علميا وفنيا، والأسباب الموضوعية لانتشار تلاوتهم داخل مصر وخارجها. كما عمل على دراسة أسباب التراجع الذي يمر به فن التلاوة في مصر، وغياب الأداء القوي المحكم. وأطلق عام 2018 حملة بعنوان "إنقاذ التلاوة المصرية"، حققت صدى وتجاوبا كبيرا على مواقع التواصل الاجتماعي، قبل أن تنتقل إلى الصحافة والإعلام.

فريدريك لاجرانج

أستاذ الأدب العربي بجامعة السوربون ويشغل حاليا منصب مدير السيداج. أعماله واهتماماته تشمل تاريخ الموسيقى في مصر منذ القرن التاسع عشر حتى الآن، وعلاقة المضمون النصي والنغمي بتطورات المجتمع. هو أيضا مترجم للأدب العربي التراثي والمعاصر.